Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لما[1] كانت الشهادة بالله أكبر الشهـادات كثر القسم بها، ولذلك ظن من قل التفاته إلى أساليب الكلام وفنون بلاغته أن الإشهاد لا يكون إلا بالمعبود على جهة التعظيم، ولكنك إذا سرحت النظر في كلام العرب وغيرهم وجـدت أنهم استشهدوا بأشياء لم يعبدوها ولم يعظموها، وإنما أرادوا الاستـدلال بجعل المقسم به شاهدا على أقوالهم. وضرب المؤلف على ذلك عدداً من الأمثلة من الشعر العربي كقول الراعي:

إن السـمـاء وإن والريح شـاهدة والأرض تشـهـد والأيام والـبلد
لقـد جـزيت بني بدر بيـغـيـتـهـا يوم الهـبـاءة يومـاً مـا لـه قـود

وكقول عنترة:

والخـيل تـعلم والفـوارس أنني فـرقت جمـعـهم بضـربة فيـصل

فـقد رأيت في هذه الأمـثلة أنهم اسـتشـهـدوا بالسمـاء والريح والأرض والأيام والبلد، والخـيل والفوارس، وليس المراد إلا أنك لـو سألتـهن ونطقن لشهـدن على دعواهم.

ومن هذا الأسلوب مـا قالـه الفضل بن عـيـسى بن إبان في وعظه «سل الأرض فـقل: من شق أنهارك، وغـرس أشجـارك، وجني ثمارك؟ فـإن لم تجبك حـوارا، أجابتك اعتباراً».

ويتساوى التعبير بكلمة «يشهد» أو «يعلم» أو ما يشبههما بالألفاظ الصريحة الدالة على القسم كواو القسم، ولـعمر أو ما يماثلهما ومثل ذلك قـسم الهجرس حين قتل جساسـاً قاتل أبيه فقال: « وفـرسي وأذنيه، ورمحي ونصليه، وسـيفي وغراريه، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظـر إليه». فقد أقسم بهذه الأشياء اسـتدلالا بها، كأنه قال: فكيف أترك قـاتل أبي وأنا قادر على الكر والفر والطعن والضـرب. فذكر في قسمه ما يصدق دعواه ويستدل به على وجوب ما أراد به، كما مثل الفارابي بشواهد

(١) استفدت في هذا الملخص من جـهد الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه التعبـير الفني في القرآن ص ٢٣٩ وما بعدها.